وَالِدَةُ الإِلَهِ

سلسلة مقالات الآنبا ساويرس
البطريرك الانطاكي

٤

مقال القديس ساويرس

عن

والدة الإله

مترجم عن الجزء الثامن من مجموعة :

Patrologia Orientales R. Graffin - F. Nau

Les Homélies Cathédrales des Sévère d'Antioche

المقال السابع والستون ترجم إلى اللغة الفرنسية ونشره Maurice Brière

« بسم الآب والابن والروح القدس الاله واحد آمين »

حضرة صاحب القبطة البابا المعظم أنبا كيرلس السادس
بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

بدأنا سلسلة المقالات للقديس العظيم البطريرك ساويرس الأنطاكي بمقال نفيس عن ظهور السيد المسيح للذريات وأعقبناه بمقال للقديس عن معجزة شفاء الأعرج وآخر عن الصوم ونقدم لك أيها القارىء العزيز الكتاب الرابع من هذه السلسلة وهو يتضمن مقالة عن القديسة الطاهرة مريم العذراء. وسنواصل تباعاً نشر هذه المقالات إن شاء الرب وعشنا . وتظهر أهمية هذه المقالات لأنها تظهر لأول مرة بالعربية ولأن صاحب هذه المقالات من أعاظم علماء عصره المتعمقين في الدراسات اللاهوتية والذي كان من أكبر المدافعين عن حقائق الإيمان الأرثوذكسي المستقيم والذي تفخر به الكنيسة القبطية وتذكره في مجمع الآباء القديسين ، بركة صلواته تكون معنا آمين .

١٩٦٩

مليكة حبيب يوسف　　يوسف حبيب

طبعة ثانية لنفاذ الطبعة الأولى رأينا إعادة طبعه ١٩٧٠

المقال السابع والستون

عن مريم العذراء والدة الإله

حينما أريد أن أنظر إلى العذراء والدة الإله وتجول فقط في خاطري الأفكار المتعلقة بها، فعند أول بادرة يبدو لي أن صوتاً من جهة الله يأتي صارخاً بقوة في أذن ليثيا في : « لا تقترب الى ههنا . أخلع حذاءك من رجليك . لان الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة » خر ٣ : ٥

في الواقع يجب أن نتخلص من كل تصور جسدي منحل ، مثلما نخلع الحذاء من أرجلنا ، حينما نحاول أن نصعد بروحنا إلى التأمل في أحد الأشياء الإلهية . فأي موضوع لاهوتي يمكن تأمله أجل شأناً من والدة الإله ؛ وأي المواضيع يعلو عليه ! ؟ ان الاقتراب منها هو الاقتراب من المكان المقدس أو هو بلوغ السماء . كانت فعلا تنتمي إلى الأرض لأنها كانت تشترك مع الإنسانية بطبيعتها وكانت بشراً مثلنا ، إلا أنها كانت نقية طاهرة من كل دنس ، وأثمرت من أحشائها ذاتهـــا كما من السماء الإله المتجسد . حملت وولدة بطريقة إلهية تماماً . ليس أنها أعطت المولود الطبيعة الإلهية ، لأن هذه كانت له قبل كل بدء وقبل كل

الدهور ، لكنها أعطته الطبيعة البشرية بدون إستحالة ، وذلك منها ذاتها ومن الحلول الذي لا ينطق به السري الذي للروح القدس.

وإذا كنت تريد أن تعرف كيف كان ذلك ، فانك تجد أبحاثك متوقفة بختم البتولية الذي لم ينقضه هذا الميلاد، ومايكون مختوماً يكون غير محسوس تماماً ، هذا يبقى سراً ولا يمكن أن تتكلم عنه : لذلك يصرخ شخص كيعقوب عجباً فيقول: « ما أرهب هذا المكان. ما هذا الا بيت الله وهذا باب السماء » تك ٢٨: ١٧.

إن الإله الذي على الكل نزل أيضاً قديمـــاً ، حينما أعلن الناموس على جبل سينا . « كان منظر مجد الرب » ، كما يقول الكتاب المقدس ، « كنار اكلة على رأس الجبل امام عيون بني اسرائيل » خر ٢٤: ١٧ . لم يكن ذلك مظهراً للجوهر أو للذات ، بل مظهر مجد الرب الأزلي . وكان مصحوباً أيضا بدخان وسحابة معتمة ظلاماً ، وبصوت البوق القوي ، وبعروق سريعة وبكل ماكان يمكن أن يثير الخوف ويبعد عن الجبل كل الذين كانوا يقفون حوله . وهذا بينما كان هؤلاء الواقفون مقدسين ومطهرين، لأن الحيوانات بطبيعتها كانت مهددة بالضرب بالحجارة والسهام، إذ يقول : « لا تمسه يد بل يرجم رجما أو يرمى رميا . بهيمة كان ام انساناً لا يعيش » خر ١٩ : ١٣ .

كل ذلك حدث لكى يثير الخوف . كان الله يقترب من بنى إسرائيل مثلما يقترب من أشخاص ما زالوا خاضعين لعبادة الأصنام المصرية تستبد بهم الأهواء الحيوانية ، فكان فى كل مكان يثير الخوف فيهم ، ويلقى الرعب فى قلوبهم بالأصوات ، وبهذه الطريقة يجعلهم طائعين جداً فى مكان الناموس .

وكان بولس الرسول يشير إلى هذا الفصل حينما كان يقول أيضاً للذين آمنوا بالأنجيل : « اذ لم تأخذوا روح العبودية أيضا للخوف بل اخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا ابا الآب » رو ٨ : ١٥ . كان الله فعلا يريد أن يعلمهم سلفاً بالخوف ويصلحهم بالناموس ، وبعد أن يرفعوا فوق درجة الخدام ، يقترب منهم كما من أولاده بطريقة أكثر كمالا وأكثر محبة .

ومع ذلك لم يستفيدوا إطلاقاً من هذا الدرس ، لكنهم بالعنف جرفوا بزيادة خطاياهم بتيار جارف فكانوا سبب غرق المعونة التى كانت تأتيهم من ذلك التعليم .

هكذا الله فى جوده المتناهى يعطيهم نعمته وروح التبنى الذى له بكرم أكثر وبسخاء أوفر ، يخضع بالمحبة هكذا أولئك الذين لم يجذبهم بالخوف . وبعد أن أظهروا أنفسهم خداماً مبغضين ، جعل منهم أبناء مختارين . لكى عليهم قول بولس الرسول الحكيم:

« حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جدا » رو ٥ : ٢٠ .

هناك كانت روح العبودية ، وكان الجبل يدخن ، لأنه لم يأخذ سوى مظهر مجد الرب الأزلى على هيئة نار آكلة ، وكان موسى الخادم يقوم بدور الوسيط .

أما هنا ، حيث نعمة التبنى ، فبالعكس ، ذلك الجبل الروحانى العذراء التى تتألق بالطهارة وتتلألأ بحلول الروح القدس . فليس هنا مظهر مجد الرب الأزلى فحسب ، بل هو الله نفسه ، الإبن ، الكلمة . إنه لا يسير فقط على قمة الجبل ، لكنه يتجسد ويولد من « الجبل » بدون إستحالة : « والكلمة صار جسداً وحل بيننا » يو ١ : ١٤ انه يعمل بشخصه ويعطينا نعمته ولا يستخدم آخر ، لأن العبد لا يملك أن يعطى نعمة التبنى لهذا السبب يتمجد بعظمته الإلهية ويصرخ قائلا : « كما ان ابن الانسان لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » مت ٢٠ : ٢٨ .

انه يجعل نفسه أولا ابن الإنسان ، وهو بذاته ابن الله غير منظور ، ثم يجعلنا نحن الأرضيين أبناء للآب السماوى بحسب النعمة . انه يأخذ الصغير ، لكى يعطى العظيم بتقديم الصغير به ، لأنه مولود من أم تعرف الزواج .

هذا هو الحجر الذى رآه النبى دانيال نازلا من الجبل بدون معونة أى يد بشرية ، أى أنه بدون البذار وبدون معاونة رجل تجسد من العذراء . ماذا إذن يدهشنى أكثر ؟ هل هو الجبل ؟ حسب المظاهر الخارجية يكون الجبل فى الجزء الأسفل(١)، لكن بسبب البتولية والسر الإلهى الذى كل فيه فهو عالٍ ومرتفع . أهو الحجر ؟(٢) . ان الحجر هو أعلى نقطة فى الجبل ، قمة القوة ورأس كل سلطان وكل مقدرة ، لكنه أراد أن يصبح بالجسد قطعة من الجبل ، لكى يوضع كأس للكنيسة الجامعة . وأنه مكتوب : « فانه لا يستطيع أحد ان يضع أساسا آخر غير الذى وضع الذى هو يسوع المسيح » ١ كو ٣ : ١١ .

ولكون نزول الكلمة مثل نزول الحجر من الجبل يثبت محبة الله للبشر ، وهو عربون السلام ، والجبل بعيد عن إثارة الخوف ، بالعكس يسهل الإقتراب منه ، لذلك فيجب أن نتطهر ، حينما نتجاسر ونتقدم من الواقع إذ يرى الجبل لا يستقبل الله كإله سينا بل يجده بلد الله ، من لا يندهش حينما يرى الله نازلا على

(١) رمزاً إلى أن القديسة العذراء مريم تنعمى بطبيعتها إلى البشرية الدنيوية ، وذلك إيماءاً إلى الجبل الذى ظهر فيه الله حينما أعطى الوصايا لموسى.

(٢) رمزاً إلى السيد المسيح الذى هو فوق الكل .

هذا الجبل الذى ولد منه إنساناً بدون تغيير(١) .

لذلك بعد أن هرعت عند سفح هذا الجبل ، أى بعد أن بينت الحواس الخارجية الظاهرية ، أخشى أن أنظر إلى الداخل ، مثل قدس الأقداس .

لأنى أسمع كتاب الناموس يقول بخصوص رئيس الكهنة الذى كان يدخل هذا المكان : « ويأخذ ملء المجمرة جمر نار عن المذبح من امام الرب وملء راحتيه بخوراً عطراً دقيقاً ويدخل بهما إلى داخل الحجاب ويجعل البخور على النار امام الرب فتغشى سحابة البخور الغطاء الذى على الشهادة فلا يموت » لا ١٦ : ١٢-١٣ .

يجب فعلا أن الذى يدخل إلى الداخل أن يكون مشتعلا فى ذاته بجمر النار المأخوذ من على مذبح الرب ثم بعد ذلك يجب أن تكون راحتيه مليئتين بالبخور ذى العطر الدقيق . ومن المعلوم أن قوام الفضائل طهارة الأعمال وأن الصلاة تولد فهماً عميقاً ، حتى أن إختلاطه بالجهر يؤدى إلى الأعلانات السماوية

(١) جاء النص الفرنسى ما يلى :

Quel est en effet celui qui, tournant que la montagne ne recoit pas Dieu comme le Dieu du Sinai, mais qu'elle enfante Dieu, n'en concoit pas de l'étonnement, alors qu'il voit Dieu descendu sur cette montagne, de laquelle il est né homme sans changement ?

المعتدلة التي يمكن فهمها . أما تلك الإعلانات التي هي أعلى من قوانا ، فإن الله يعطيها كالدخان للخلاص فوق أرواحنا، وهكذا لا يفرض علينا حملا يفوق قوانا .

لذلك . بما إني لست مستعداً ولا متطهراً وليس لي هذا الجمر ولا هذا البخور ، فإني أبقى في الخـــارج ، ولن أخص بالتفصيل ما هو بالداخل .

فيما تأمل في هذه الأمور ، لا أزال أرى ذكرى العذراء والدة الإله تنير قلبي وتشعله مثل النار وتملأه مثل البخور برائحة خاصة زكية . وحينئذ كأني قد نسيت نفسي وغشيتني دهشة ، مأخوذاً برغبتي مهموراً كلية في الداخل بالجمال والرؤى الرمزية الموضوعة داخل قدس الأقداس ، أتأمل ذلك في عمانوئيل بطرق كثيرة .

يشار إلى عمانوئيل أولا بالفلك المصنوع من الذهب الخالص ومن الأخشاب الغير قابلة للتلف ، لأن الذهب يغطي ألواح الخشب من كل ناحية في الداخل وفي الخارج ولا يترك مطلقاً أي مكان مكشوف وظاهر بتألقه الذاتي. أليس المسيح يظهر هكذا؟ انه واحد من اثنين ، من اللاهوت مثل الذهب الذي يلمع ويتألق ببريق قوي ، ومن الناسوت المستثنى من الفساد مثل الأخشاب، بسبب ولادة الله الكلمة الطاهر بدون بذار ، بفعل الروح

القدس والعذراء مريم ، فلم يتحد هو ذاته فقط بالجسد الذي لا نفس فيه ، بل بجسد حي بنفس عاقلة . وهذا هو المقصود في قوله : كان الذهب يغطي الاخشاب في الداخل وفي الخارج . « وتغشيه بذهب نقي . من داخل ومن خارج تغشيه . وتصنع عليه اكليلا من ذهب حواليه » خر ٢٥ : ١١ . وصنع بصلئيل التابوت من خشب السنط طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف . وغشاه بذهب نقي من داخل ومن خارج . وصنع له اكليلا من ذهب حواليه . وسبك له اربع حلقات من ذهب على اربع قوائمه . على جانبه الواحد حلقتان وعلى جانبه الثاني حلقتان . وصنع عصوين من خشب السنط وغشاهما بذهب . وأدخل العصوين في الحلقات على جانبي التابوت لحمل التابوت . وصنع غطاء من ذهب نقي طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف . وصنع كروبين من ذهب صنعة الخراطة صنعهما على طرفي الغطاء . كروبا واحدا على الطرف من هنا وكروبا واحداً على الطرف من هناك . من الغطاء صنع الكروبين على طرفيه . وكان الكروبان باسطين اجنحتهما الى فوق مظللين بأجنحتهما فوق الغطاء ووجوههما كل الواحد الى الآخر . نحو الغطاء كان وجها الكروبين »

خر ٣٧ : ١ - ٩ .

لاحظ أيضاً فى ذلك صحة الرمز . كما أن الخشب الغير قابل للتلف يمكون خشباً هو فى مادته مثل كل الأخشاب التى يدركها العطب ، ولكن من خواصه أن يكون غير قابل للتلف ، هكذا جسد المسيح ذو النفس العاقلة كان أيضاً من نفس النوع ومن نفس الطبيعة كجسدنا ، لكن كان له هذا بالإضافة ، أى أنه الوحيد الذى كان حراً من فساد الخطية ومستثنى منها لانه حبل به من الروح القدس ومن مريم العذراء وأنه اتحد بالكلمة ، الذى لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر ، ١ بط ٢ : ٢٢ .

وأيضاً كما أن أخشاب الفلك كانت لا يأتيها الانحلال ومع ذلك من الممكن قطعها وأحراقها ، هكذا الجسد كان الطهارة الذى للمسيح إلهنا لم يشترك أيضاً فى الخطية أو فى الفساد الذى ينتج عنها ، لكنه مع ذلك يتحمل الآلام والضربات والموت والأوجاع من نفس النوع . لأنه إن لم يكن كذلك ، ما اقتبل الموت الذى به كسر ذاك الذى له سلطان الموت ، فاذا قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذلك الذى له سلطان الموت أى أبليس ، عب ٢ : ٤ ، ولما جاء إلى القبر ونزل إلى الجحيم ، لم يعرف الفساد الذى يتأتى

عنه ، بسبب قيامته الإلهية من بين الأمـــوات(١) : لأنه « لم يترك نفسه فى الهاوية ولا رأى جسده فساداً » أع ٢ : ٣١ . كما هو مكتوب .

وبهذا نستنتج أن جسد المسيح كان غير قابل للفساد فى كل شىء لأنه لم يخضع بتاتاً للانحلال الذى يأتى من الخطية ، وبينما كان يمكن أن يتحمل ما يأتى من الموت ومن القبر ، فانه دفع بالفساد جانباً دون أن يتأثر به ، بسبب إتحاده بالكلمة ، لأنه بطبيعته غير قابل للفساد والألم والموت(٢) .

(١) جاء فى النص الفرنسى ما يلى :

et quand il est venu Jusqu'à la Sépulture et à la descente eux anfers, il n'a pas encore connu la corruption qui en vient, à cause de sa Résurrection divine d'entre les morts.

(٢) جاء فى النص الفرنسى ما يلى :

De la sorte il résulte que le corps du Christ s'est montré incorruptible en tout, puisqu'il ne fut nullement sujet à la corruption qui vient du péché, et que, susceptible de subir celle qui provient de la mort et de la sépulture, il L'écartée sans être pris par elle, à cause de son union avec le Verbe, car it est par nature incorruptible, impassible et immortel.

ولندع هنا مقارنة الفلك والتشابه الخاص به . فليس فى الواقع كصورة الذهب المشغول بلتصق بالخشب ، كان الله الكلمة متحداً بالجسد . لأن الظل الذى فى الرمز ضعيف ولا يستطيع أن يمثل الحقيقة كاملة ، ويكون بعيداً عن الدقة ، ولو أنه يصور بعض أوجه التشابه .

وبولس الرسول يعطينا صورة أخرى للاتحاد الإلهى الذى تحقق فى عمانوئيل ، حينما يقول : « فاذا قد تشارك الاولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضا كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذلك الذى له سلطان الموت أى ابليس » عب ٢ : ١٤ . هكذا إشترك الله الكلمة بنفس الطريقة مثلنا فى الدم واللحم ، ونعلم أن روحنا تتحد بالجسد بدون اختلاط فى إجتماع الطبيعة والجوهر .

وإذ نواصل التأملات فى الفلك ، نرى الإناء الذهبى الذى كان فيه المن ينادى ويجذبنى إليه ، باعثاً أشعة منيرة ومقدماً إلى صورة أخرى لعمانوئيل إلهنا وكمثل رسام يصور الخدمة الإلهية بصور متعاقبة كما على لوحة ويبينها بمجىء السيد المسيح فى الجسد. وان كتاباً كثيرين قد جمعوا فى ذلك إعتبـــارات مختلفة لأن واحداً فقط لا يكفى فى تبيان الكل .

فالمن النازل من السماء مثل المطر بداخل إناء مصنوع على الأرض كان يشير إلى كلمة الله النازل من السماء فهو لم يحضر الجسد من فوق ، لكنه تجسد من الأرض ومنا بدون إستحالة. أما بخصوص الفلك ، فكانت الأخشاب رمزاً للجسد والذهب رمزاً للاهوت . أما هنا فيكون العكس ، كما أن المن يرمز إلى الله الكلمة والإناء الذهبى إلى الجسد . والمقصود بهذا التشبيه أن المسيح ، بعد أن « اخلى نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة » اف ٥ : ٢ ، وقام من الأموات وبذلك أعطى نفسه منذ ذلك الوقت لنا خبز السماء لحياتنا وشركتنا ، ما كان لجسده(١) أن يخضع للامراض البشرية أو أن يكون قابلا لاحتمال الضعفات من نفس النوع ، أعنى الجوع ، والتعب ، والعطش والآلام ، لان التدبير الالهى الذى لأجله تحمل ذلك بارادته ، كان قد تم . لكن بمثل هذا الإناء الذهبى ، يكون الجسد مقدساً ، ومحبياً ، ولا يمكن إهلاكه ، ولا يمكن أن يتألم(٢) لأن جسد الله الكلمة الذى هو الحياة بطبيعته والذى هو مزين بالمجد اللائق بالله ؛ لم يتغير أو يتحول إلى طبيعة اللاهوت ، لكنه يبقى على ما كان، كما هو مكتوب : « فينظرون الى الذى طعنوه » زكريا ١٢ : ١٠،

(١) ، (٢) بعد القيامة من الأموات .

حينما يأتي ثانية من السماء . هذا ما كان يقوله بولس الرسول : «اذا نحن من الآن لا نعرف احداً حسب الجسد وان كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفه بعد» ٢ كو ٥ : ١٦ .

لكن حينما أجول بنظري في الفلك أجد فيه لوحا الناموس موضوعين وكذلك عصا هرون التي أزهرت ، بعد أن يبست ، بطريقة عجيبة ، وأنتجت ثمار اللوز . «وفي الغد دخل موسى الى خيمة الشهادة وإذا عصا هرون لبيت لاوي قد افرخت . اخرجت فروعا وازهرت زهراً وانضجت لوزاً» عدد ١٧ : ٨ . هذا يعني أن المسيح بعد أن حوى في ذاته الناموس والكهنوت اللاوي ، خبأهما وحينما ضعفت وبست جعلها تأتي بثمر بثبات الحياة الإنجيلية . لذلك كان يقول أيضاً : «لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس أو الانبياء . ما جئت لانقض بل لاكمل» مت ٥ : ١٧ .

ماذا كانت هذه الثمار ؟

اللوز ثمرة العصا القانونية . فثمرة اللوزة الخارجية الظاهرة مرة وملحة جداً ، لكن التي بعد القشرة الأولى صحيحة وثابتة ، وهاتان القشرتان تحويان الجزء اللين طعام والتذوق . وحسب قول بولس : «ولكن كل تأديب في الحاضر لا يرى انه للفرح بل

للحزن . وأما أخيراً فيعطي الذين يتدربون به ثمر بر للسلام» عب ١٢ : ١١ . وكل عقاب يكون أولا مراً قليلا بما يسببه من الضيق ، وفيما بعد له جمال وتقويم .

العصا التي ازهرت وحدها بسبب غنى ووفرة العطايا الروحانية تنبئنا بطريقة أخرى بالمسيح الذي من يسى ومن داوده حسب الجسد وعظم به جذعنا الذي كان قبلا محكوما عليه بالهلاك بسبب الخطية ، فأنبت وأزهر ونمى . وتنبأ أشعياء بهذه العبارات : «ويخرج قضيب من جزع يسى وينبت غصن من أصوله» أش ١١ : ١ .

المذبح الذي كان موضوعا فوق الفلك ، وبين خدام الكهنوت من أكل خدمته عليه ، أو أهرق دماً عليه ، وكان مغطى من الناحيتين بأجنحة الشاروبيم ، يشير أيضاً بوضوح إلى المسيح والذي قدمه الله كفارة بالايمان بدمه لاظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بامهال الله ، رو ٣ : ٢٥ . كما يقول بولس الرسول .

كان موضوعاً فوق الفلك . بهذا يشير أن سبب مجيء السيد المسيح في الجسد إنما في نفس الوقت لاتمام الذبيحة الكفارية

عن خطايانا . لم يكن ممكناً للكهنة أن يصلوا إليه . لأنه لم يكن من حق أي إنسان ، بل له وحده ، أن يقدم ذاته : وهذا ما قد صنعه أيضاً حينما ، قدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين عب ٩: ٢٨.

وعندما نقوم الآن بخدمة القداس . فإننا لا نقدم شكلياً ذبيحة المسيح سلفاً ، لكننا بإتمام الطقوس السرية نصنع ذكر آلامه التي قدمها هو نفسه ، et quaud maintenant nous exerçons le sacerdoce, nous n'immolons pas d'avance le Christ en figure, mais par l'accomplissement des rites mystiques nous faisons mémoire du sacrifice qu'il a offert iui - même.

كان الشاروبيم يغطونه . كيف لا تبين هذه الكلمة بوضوح أنه حتى بعد اتمام الذبيحة الكفارية حسب التدبير الإلهي ، فهو أيضاً الله في الجسد الذي تألم لأجلنا ، وانه مخوف ولا تستطيع القوات العليا أن تصل إليه ، لا قبل ولا بعد الآلام ، وانه بالاكثر مبجل ومعبود ، لأنه أظهر حكمته بأشكال شتى كما كان يقول بولس الرسول في خلاصنا ؟ ، لكي يعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السموات بواسطة الكنيسة حكمة الله المتنوعة ، أف ٣ : ١٠ .

(١) أنظر القداس الإلهي .

لكن حينما أقول هذه الأشياء وأتأمل دخان البخور وهو يرتفع ويعلو إلى فوق أراه يحجب عني بريق الشار ويملأ عيني ظلاماً ، ويمنعني عن التقدم إلى الأمام حتى لا تقهقر بطريقة هادئة ، راقماً رجلا ومؤخراً الأخرى ، وأخرج بحرص . أن الزينة الخارجية لوالدة الإله وفيرة مثل الغنى الداخلي . فهي في الواقع خميرة الخليقة الجديدة ، جـــذر الكرمة الحقيقية التي أصبحنا أغصانها بالمعمودية .

Elle est en effet le levain de notre nouvelle création, la racine de la vigne véritable dont nous sommes devenus les branches par la même germination du baptême .

هنا نهاية صلح الله مع الناس ، الذي فيه كانت الملائكة ترنم: « المجد لله في الأعالي وعلى الأرض الســـلام وبالناس المسرة » لو ٢ : ١٤ . لذلك كانت ذكرى العذراء تنبه نفوسنا إلى أن أية عداوة هي غير الصلح وهي حالة حرب ، واننا أصبحنا في سلام في المقدسات وفي شركة الله قد دعينا .

كيف لا نقدر العذارى اللواتي يجرين نحو كرامة والدة الإله مريم والاكليل والثواب اللذين هما نتيجة لهـــا ؟ واللواتي قد ارتبطن بالزواج كيف لا يعطين العلاقة الجسدية حقها من الطهارة

والقداسة ؟ ومن لم يكن فى البتولية عليهن أن يتبعن هذه الكلمة : « الدعوة التى دعى فيها كل واحد فليلبث فيها . دعيت وأنت عبد فلا يهمك . بل وان استطعت أن تصير حراً فاستعملها بالحرى . لأن من دعى فى الرب وهو عبد فهو عتيق الرب . كذلك أيضاً الحر المدعو عبد للمسيح قد اشتريتم بثمن فلا تصيروا عبيداً للناس . ما دعى كل واحد فيه أيها الاخوة فليلبث فى ذلك مع الله » . ١ كو ٧ : ٢٠ - ٢٤ . هذا قانون الروح . كيف لا نسلك جميعاً ونعيش لمجد الله الذى تجسد والذى حسبنا مستحقين لحياة عظيمة كهذه ؟

لهذا السبب ، حينما سمعتم انى سميت والدة الإله قدس الأقداس (وهو الخيمة الموجودة داخل الحجاب الثانى) قد امتلأت قلوبكم أيضاً غيرة وحماساً نحو الزمن الذى تتوسع فيه الخيمة الأولى (بيت الصلاة) . ماذا ينقص ؟ من جانبنا علينا أن نشرع فى العمل ونبتدىء ، ومن جانبكم عليكم أن تتمثلوا بارادة الله الصالحة الكريمة مثل الذين كانوا عند بناء خيمة الشهادة يحضرون بفرح كل المواد وعطية خيراتهم ؟ لم يرفض الله حتى شعر الماعز وكانت صناعة الحبال من الشعر . هو فعلا الذى أخذ أيضاً فلسى الأرملة ووضعهما علناً قبل أية عطية أخرى أكثر منهما أهمية ، لأن فيهما كل معيشتها . فلا يعفى أحد من الفقراء

نفسه من أن يقدم تقدمة ولا يستحى من فقره ، بل ليقدم ما استطاع لأن الله يقبل مثل هذه الذبيحة ويعرف من أين تقدم.

ونحن نصرخ إلى العذراء القديسة مريم وإلى الكنيسة أيضاً فرحين بالغيرة الروحانية التى لهذا الجمع المقدس ومبتهجين بكرامة السيدة العذراء القديسة مريم .

وقد وردت نصوص كثيرة عن هذه الخيمة وبالأخص فى نبوات أشعياء النبى حيث يقول : « عيناك تريان أورشليم مسكناً مطمئناً خيمة لا تنتقل لا تقلع أوتادها الى الأبد وفى من أطنابها لا ينقطع » اش ٣٣ : ٢٠ . « أوسعى مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك لاتمسكى اطيلى اطنابك وشددى اوتادك. لانك تمتدين الى اليمين والى اليسار ويرث نسلك امما ويعمر مدنا خربة » اش ٥٤ : ٢ - ٣ .

وجاء فى سفر الخروج تفصيلا عن هذه الخيمة الآيات الآتية : « فكمل كل عمل مسكن خيمة الاجتماع. وصنع بنو اسرائيل بحسب كل ما أمر الرب موسى . هكذا صنعوا . وجاءوا إلى موسى بالمسكن الخيمة وجميع أوانيها اشظتها وألواحها وعوارضها وأعمدتها وقواعدهـــا . والغطاء من جلود الكباش المحمرة . والغطاء من جلود التخس . وحجاب السجف . وتابوت الشهادة

وعصويه والغطاء . والمائدة وكل آنيتها وخبز الوجوه . والمنارة الطاهرة وسرجها السرج للترتيب وكل آنيتها والزيت للضوء . ومذبح الذهب . ودهن المسحة . والبخور العطر . والسجف لمدخل الخيمة . ومذبح النحاس وشباكه النحاس الذي له وعصويه وكل آنيته والمرحضة وقاعدتها . وأستار الدار وأعمدتها وقواعدها . والسجف لباب الدار وأطنابها واوتادها وجميع أواني خدمة المسكن لخيمة الاجتماع . والثياب المنسوجة للخدمة في المقدس . والثياب المقدسة لهرون الكاهن وثياب بنيه للكهنة . بحسب كل ما أمر الرب موسى هكذا بنو اسرائيل كل العمل .

خر ٣٩ : ٣٢ - ٤٢ .

لذلك ونحن نفكره تعالى ونكلمكم ببركات الروح ، نقول : « الرب اله آبائكم يزيد عليكم مثلكم الف مرة ويباركم كما كلمكم » تث ١ : ١١ .

نقدم له أيضاً المجد والإكرام للآب والابن والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين .

† † †

تمجيد للعذراء

السلام لك يا مريم ... يا يمامة جليلة تصيح
لنا بسر عظيم ... صوتها مبهج وفريح
السلام لك يا كرمة ... عنقودها قد أثمر
رأس ينبوع الحكمة ... وفهم عالى معظم
السلام للاناء المستور ... قبل كون العالمين
المحتوى نور من نور ... في حضن الآب كل حين
السلام لك يا كنز خفي ... حامل كل الأسرار
وبك الموعد وفي ... لسائر الآباء الابرار
السلام لك يا مظلة ... أب الآباء ابراهيم
حكمة خفية وظهرت ... احتار فيها كل فهيم
السلام لينبوع اسحق ... مروى الزرع المثمر
السلام لفجر مشرق ... أشرق في عالم مقفر
السلام اتهليل يعقوب ... وأصل كل البركات
وراحة للشعوب ... وبها زالت اللعنات

السلام لحقل مشهور ... وفى وسطه الجوهر
وجده يوسف مبرور ... ويفوق كنزاً أبهر
يا حقلا نقياً مبرور ... وفى وسطه خالق لا يرى
صير المحجوب مبرور ... له العظمة والقدره
السلام لسفينة نوح ... والنجمه البدريه
اشراقك فجر يلوح ... نوره لكل البريه
يا حقلا غير مفلح ... من ذاته بغير تفليح
سقاه غير مفلح ... روحاً قدوساً وصريح
السلام للصنوعه ... وصانعها هو جنيها
وهى بيده مبدوعه ... وولد كصبى منها
طوباك يا من سرك ... متعالى عجيب ورهيب
احتار عقلى فى أمرك ... بل وعقل كل نجيب
ما أبهج نورك فى ضياء ... يضىء على أهل الظلمه
عبدك إبليس أغواه ... صيره من أهل النقمه

أودع بدار الكتب تحت رقم ٣٢٥٧ لسنة ١٩٦٩